العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية

إذاعة الكفيل

سلسلة من حلقات برامج إذاعة الكفيل

صوت المرأة المسلمة

كنوز خفيَّة

إعداد

زينب علي

كربلاء المقدسة
FM-95.3MHZ
النجف الأشرف
FM-103.9MHZ
ذي قار
FM-95.3MHZ
ميسان
FM-98.3MHZ
radio@alkafeel.net

الكتاب: كنوز خفية.
الإعداد والتقديم: زينب علي.
المونتاج الإذاعي: نبأ شاكر.
الناشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة/ شعبة إذاعة الكفيل.
التصميم: علاء سعيد الأسدي.
الإخراج الطباعي: شيماء سامي.
التدقيق اللغوي: عمار كريم السلامي.
المطبعة: مطبعة دار الكفيل.
الطبعة: الأولى.
عدد النسخ: ٢٠٠٠
شعبان ١٤٣٦هـ - حزيران ٢٠١٥م

مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وسلامٌ على أصحابه البررة المنتجبين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

أما بعد: لا يخفى أنَّنا مازلنا بحاجة إلى تكريس الجهود ومضاعفتها نحو نشر المفاهيم الأخلاقية والتربوية وترسيخ المفاهيم الإيمانية التي تضمنتها رسالة الإسلام لبناء الفرد بناءً فعلياً حقيقياً؛ ليكون انطلاقة سليمة لبناء ذلك الكيان الإنساني الشامخ الذي ماهو إلا اللبنة الأُولى لبناء مجتمعٍ إسلامي راسخ البنيان، عتيد المراسي، لذا ومساهمةً في ذلك جاءت برامج إذاعة الكفيل صوت المرأة المسلمة كسبيل للوصول إلى ذلك، وقد أخذت هذه البرامج طريقها إلى أسماع الكثيرين عبر أثيرها وعبر شبكة الإنترنت العالمية صوتاً، ولأجل تعميم الفائدة ارتأت الإذاعة إيصال برامجها كتابياً إلى أيدي الذين لم يسعفهم الوقت لسماعها وذلك بطباعة بعض من برامجها وإصدارها كراريس.

الحلقة الأولى

العلاقة بين الحجاب والحياء

إذا قلَّ ماء الوجه قلَّ حياؤه ولا خير في وجه إذا قلَّ ماؤه

حياؤك فاحفظه عليك فإنَّما يدل على فعل الكريم حياؤه

«روي عن جبرئيل عليه السلام أنَّه نزل إلى آدم عليه السلام بالحياء والعقل والإيمان فقال جبرئيل عليه السلام: «ربُّك يقول لك تخيَّر من هذه الأخلاق واحداً، فاختار آدم العقل، فقال جبرئيل عليه السلام للإيمان والحياء: ارحلا، فقالا له: أُمرنا أن لا نفارق العقل، فقال عليه السلام: الحياء من الإيمان»[1]، فالحياء من الصفات المحمودة والتي يجب على كل مؤمن ومؤمنة التحلي به، وهو معنى معروف ومتداول، والحياء تارة يكون من الله عز وجل وتارة يكون من الناس وكلاهما يوفران للفرد المؤمن الصلاح والأمن من مكائد الشيطان، وللمجتمع الثقة والمحبة، وعلاوة على ذلك

(١) بحار الأنوار: ١/ ١٤٩، إرشاد القلوب: ١/ ٢١٩.

رضواناً من الله أكبر، قال رسول الله ﷺ: «**الحياء لا يأتي إلا بخير**»[1]؛ لأنَّ الحياء من صفات أولياء الله تعالى، والله تعالى لا يخيب أولياءه، فلا يقدم الإنسان الحيي على ما يشينه، وبذلك تكون ورقته بيضاء من الذنوب، قال الإمام الصادق عليه السلام: «**لا إيمان لمن لا حياء له**»[2]، فإن كنت تعتقد أنَّ إمامك هو الإمام الصادق عليه السلام فلا بد أن تلتزم بأوامره ونواهيه، فهو عليه السلام يخاطبك ويقول عليك بالحياء، واترك كل ما تركه الصالحون لتسعد دنيا وآخرة، لا أن تفعل ما يفعله أراذل الناس في المجتمعات الغربية، بل انظر لأئمة أهل البيت عليهم السلام تارة، وانظر إلى واقعك تارة أخرى، واسأل نفسك هل هناك تشابه بينك وبينهم؟! ثم تأمل أي الطريقين تسلك؟ ولو تساءلنا هل هناك علاقة بين الحياء والعفة؟ لوجدنا الجواب في قول أمير المؤمنين عليه السلام: «**على قدر الحياء تكون العفة**»[3]، فكلما زاد الحياء قلت الذنوب وزادت العفة، فإن كنت محتشماً في لباسك وكلامك ومشيتك فأنت مؤمن، واستحياؤك من الناس هو دليل على استحيائك من الله والعكس صحيح، فمن لم يستح من الناس والناس يرونه ويراهم لم يستح من الله؛ لأنَّ قلبه صار مظلماً فلا يستطيع رؤية نور الله، فإن لم يره عصاه، يقول الإمام السجاد عليه السلام: «**خف الله تعالى لقدرته عليك واستحي منه لقربه منك**»[4]، فما أروعها من كلمات! فكلامهم عليهم السلام نور، وأمرهم رشد، ووصيتهم التقوى، وفعلهم الخير، فالإمام عليه السلام يسطر منهجاً سوياً للمؤمن والمؤمنة وهو أنَّك تنظر

(١) ميزان الحكمة: ٢/ ٣٦٦.
(٢) الكافي: ٢/ ١٠٦، ميزان الحكمة: ٢/ ٣٦٨.
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ١/ ١٧١.
(٤) ميزان الحكمة: ٢/ ٣٧٠، بحار الأنوار: ٧٥/ ١٦٠.

لله تعالى بمنظارين وهما:-

أولاً: قدرته جلَّ وعلا.

ثانياً: قربه منك وعلمه بكل فعل فعلته.

فأما قدرته فخف منها، فلربما يصيبك بقدرته بما تحزن منه كموت أو مرض أو شلل بسبب الذنوب أو غيرها مما يؤلم ويحزن، وأما قربه منك وعلمه بكل أفعالك، فيستدعي الاستحياء منه والخجل، فهو الرقيب فهل ستعصيه وهو يراك؟ أم تفعل كل ما يرضيه لكي يزيدك فضلاً وإحساناً، وروي أنَّ الله تعالى يقول: «**عبدي إنَّك إذا استحيت مني أنسيت الناس عيوبك وبقاع الأرض ذنوبك ومحوت من الكتاب زلاتك ولا أناقشك الحساب يوم القيامة**»[1]، كما روي أنَّ رجلاً رأى أحدهم يصلي على باب المسجد! فقال له: لم لا تصلي في المسجد؟ فقال: أستحي منه أن أدخل بيته وقد عصيته! والحياء إذا نسب إلى الله تعالى، فالمراد به التنزيه، فيوصف بأنَّه يستحي منه ويتركه كرماً، وما أكثر ما يمنع الحياء من الفواحش والذنوب!

ثمرات الحياء

إنَّ الحياء زينة لكل شيء، فقد روي عن الرسول الأكرمﷺ أنَّه قال: «**ولا كان الحياء في شيء قط إلا زانه**»[2]، ومن جملة ثمرات الحياء أنَّه يصد عن الفعل القبيح، ويؤدي إلى العفة، قال الإمام عليعليه السلام: «**سبب العفة الحياء**»[3]، وهناك

(١) إرشاد القلوب: ١/ ٢٢٠.

(٢) ميزان الحكمة: ٢/ ٣٦٦، مستدرك الوسائل: ٨/ ٤٦٥.

(٣) ميزان الحكمة: ٢/ ٣٦٧.

أمور لا ينبغي فيها الحياء ومنها التفقه في الدين، وسؤال أهل العلم في طلب العلم، فقد قيل: «لا حياء في الدين»، فمازال هناك أسئلة تتعلق بالدين، فينبغي أن يسأل فيها لمعرفة التكليف، كما أنَّ الحياء في طلب الرزق يمنع الرزق كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام حيث قال: «**الحياء يمنع الرزق**»[1]، وأيضاً لا ينبغي الحياء في قول الحق؛ لأنَّ أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «**من استحيا من قول الحق فهو أحمق**»[2]، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**الحياء حياءان: حياء عقلٍ، وحياء حمق، فحياء العقل العلم، وحياء الحمق الجهل**»[3].

(١) ميزان الحكمة: ٢/ ٣٦٦.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ١/ ٢٧.

(٣) مستدرك سفينة البحار: ٢/ ١، بحار الأنوار: ٧٤/ ١٤٩، ميزان الحكمة: ٢/ ٣٦٩.

الحلقة الثانية

معنى الحياء

إنَّ الحياء هو اسم للانقياد المقرون بالاحترام، ذلك أنَّ المؤمن العاقل المكلف غالباً ما ينقاد ويطيع الأوامر الصادرة إليه بروحية المقهور الراجي للثواب، والخائف من العقاب بحيث لو أتيح له أن ينفلت من ضغط التكليف لفَعل.

وأما المؤمن العارف بالله تعالى وبالقيم الأخلاقية والمدرك لأهمية التعايش الإنساني، فإنَّه بقدر ما يجل الله في نفسه ويعظمه، وبقدر ما يرتقي في إدراكه لدور القيم والأعراف في تعزيز السعادة ينقاد طواعية وتهذيباً وإجلالاً ومحبة لله تعالى وللعقل وللإنسان، فهو يأخذ على نفسه أو ينأى بها عن أن يفعل ما ينافي تلك المصادر المحترمة ويؤذيها فيستحي مبهوراً بجلال ذلك المصدر، ولا يقتصر بناء النفس والمجتمع الكاملين على مجرد الإيمان العقلي بصحة

التشريع والتعاليم الموضوعة لذلك ثم الالتزام بها على أساس هذا الإيمان، فإنَّه رغم أهميته وضرورته، ورغم كونه هو الأكثر شيوعاً بين الناس فإنَّه يساعد وينهض بعبء الالتزام بفعل الواجبات وترك المحرمات والإتيان بها بروح القهر والإلـزام والخـوف، ولما كان مدى السلوك الإنساني أوسع من ذلك ويطال القيم الأخلاقية المستحبة والأعراف الاجتماعية المحمودة والمستحبات الشرعية المندوبة، فإنَّ المؤمن لن يتحمس للإلتزام بها إلّا إذا اشتمل على سجية الحياء من حيث هي رفيق العقل الواعي والحكيم المدرك، إذ يعيش بها عاطفة الإجلال والمحبة لله تعالى وللإنسان، فيستحي أن يفعل ما يغضبهما ويقوده حياؤه إلى أن يترقى في العزوف عن كل دنية.

والحياء من هذا المنحى قرين العقل وهو أيضاً قرين الإيمان والحكمة والرحمة والتواضع والصبر والقناعة، ففيه تجتمع فضائل جمة وتتعاضد على تزخيم الالتزام بكل واجب، والتحلي بكل أدب؛ سمواً في الكمال وإغراقاً في الفضيلة، فهو صمام أمان لجموح الهوى وطغيان الانفعال بما يعززه من رقابة المرء لنفسه وعزوفه عن منافيات المروءة، قال رسول الله ﷺ: «**أما الحياء فيتشعب منه اللين والرأفة والمراقبة لله في السر والعلانية والسلامة واجتناب الشر والبشاشة والسماحة والظفر وحسن الثناء على المرء في الناس، فهذا ما أصاب العقل بالحياء، فطوبى لمن قبل نصيحة الله وخاف فضيحته**»[1].

يقال للإنسان المتحلي بصفة العفة أنَّه عفيف اللسان والعين واليد والبطن وغيرها؛ للدلالة على التزامه بما حرم الله تعالى، والحياء ضد الوقاحة، والفجور

(١) ميزان الحكمة: ٢/ ٣٦٩، تحف العقول: ١٧.

ضد العفة، وكلٌّ من الوقاحة والفجور منافيان لجبلة الإيمان وقواعد التهذيب، وموجبان لشقاوة الأفراد والمجتمعات، كما أنَّه يقبح الإفراط في العفة إلى درجة الرهبانية، والإفراط في الحياء إلى درجة الخجل؛ فإنَّ الأول منافٍ للفطرة وقواعد التمدن والاجتماع، والثاني يؤدي إلى العزلة وتفويت الفرص، فالمطلوب حياء من غير خجل، وعفة من غير رهبانية، قال الإمام الصادق عليه السلام: «**الحياء على وجهين فمنه ضعف ومنه قوة وإسلام وإيمان**»[1].

وهناك أمور تؤدي إلى قلة الحياء وهي طلب الحوائج من الناس، وكثرة المعاصي خصوصاً أمام الناس والطمع والشره، وإنَّ من علامات السفهاء خمساً: «قلة الحياء، وجمود العين، والرغبة في الدنيا، وطول الأمل، وقسوة القلب»، فقد قال الله تعالى في بعض كتبه: «**ما أنصفني عبدي يدعوني فأستحي أن أرده ويعصيني ولا يستحي مني**»[2]، لذا يمكن القول أنَّ الحياء هو ذوبان القلب للعلم بأنَّ الله عز وجل مطَّلع عليه وطول المراقبة لمن لا يغيب عن نظره سراً وعلانية، وإذا كان العبد حال عصيانه يعتقد أنَّ الله يراه فإنَّه قليل الحياء، جاهل بقدرة الله وإن كان يعتقد أنَّه لا يراه فإنَّه كافر.

(١) بحار الأنوار: ٧٤/ ١٤٩، ميزان الحكمة: ٢/ ٣٦٩.

(٢) إرشاد القلوب: ١/ ٢٢١.

الحلقة الثالثة

أقسام الحياء

إنَّ هناك في الحقيقة قسمين للحياء هما:-

أولاً: الحياء السلبي:-

وهو الحياء المنبثق من عدم الثقة بالنفس والخوف من مواجهة الناس، فهناك بعض من النساء والرجال من يخاف من المشاركة العلنية أو الكلام أو المبادرة، فهذا الحياء يسبب الجمود والانطواء للمرأة والرجل على حدٍّ سواء، ويضعف من الشخصية الإنسانية ويعطّل طاقاتها ويعيق تقدمها وتطورها، ولعل بعض وسائل الإعلام تصور أنَّ الإسلام يدعو أو يشجع هذا النوع من الحياء، فالإسلام في هذا الإعلام دين الانطواء والسلبية والجمود وهو سبب تحطيم الشخصية النسوية! ولكننا نقول: إنَّ المرأة ليس مطلوباً منها على الإطلاق أن تكون ذات حياء يمنعها من المشاركة أو الإبداع أو العطاء

أو التقدم الإنساني العام، ويكفي أن نذكّر بمواقف أهل البيت عليهم السلام في هذا المجال، فهل منع حياء الزهراء عليها السلام وعفتها من أن تذهب للمسجد النبوي وتقف ذلك الموقف البطولي الشجاع وتخطب تلك الخطبة التأريخية بمسمع من الرجال؟ أم هل منع حياء السيدة زينب عليها السلام من أن تتحدى الطاغية يزيد اللعين وتنتصر عليه معنوياً؟

إنَّ الحياء الذي يمنع المرأة المسلمة من تقييم الخطيب في المسجد أو المأتم أو يمنعها من بحث المسائل الشرعية أو تتابع سلبيات وانحرافات المجتمع ودراستها وعلاجها لهو حياء سلبي ضد الإسلام ولا ندعو إليه.

ثانياً: الحياء الإيجابي:-

إنَّ هذا الحياء ينبثق من الخوف من الله سبحانه وتعالى والحياء منه، وهو يعني الحذر والدقة الشديدة والبالغة من أي شيء قد يتحول في الشخصية لعامل مؤثر! فهذا الحياء يمثل حياءً إيمانياً إلهياً بينما كان الحياء السلبي إنسانياً طبيعياً فهو ناشئ من الخوف من الناس والخجل منهم، وإنَّ من أهم الفروق بين الحياءين هو أنَّ الحياء السلبي لا يمثل حصانة قوية للمرأة؛ لأنَّه معرَّض للزوال والذوبان فهو يعتمد على مستوى الجرأة والشجاعة والتعود فقط، بينما يكون الحياء الإيماني والإيجابي حياءً راسخاً عميقاً؛ لأنَّه ينبثق من الإيمان بالله سبحانه وتعالى وخوف مخالفته والحياء من عصيانه وإغضابه.

لهذا نجد أنَّ هذا الحياء يتضيَّق في جانبه العملي عندما يتطلب التكليف الإلهي التحرك الشجاع لخوض غمار التقدم في مجالات العلم والفكر، كما

أنَّ أهم الاختلافات بين الحياءين هو أنَّ ثمرة العفة والاحتشام إنَّما تنتج من شجرة الحياء الإيماني لا الحياء الطبيعي، فالحياء الناشئ من الطبع والعادة لا ينتج بالضرورة حب الاحتشام والعفة، بينما نجد أنَّ الحياء الإيماني الناشئ من التقوى الداخلية للمرأة هو الشجرة الأصلية لثمرة الاحتشام والعفة، فالاحتشام والعفة هو الدرجة المتطورة من الحياء الإيماني والإيجابي.

نستطيع أن نعرِّف الاحتشام والعفة بأنَّها تلك المشاعر والعواطف الداخلية للمرأة التي تدعوها تلقائياً لإخفاء مظاهر جمالها، وتجعلها تنفر وتستقبح بصورة ذاتية وعفوية وتلقائية أي نوع من أنواع الإثارة العامة، لذا فإنَّ الحياء والعفة والحشمة تمثل القاعدة الداخلية للحجاب في روح المرأة ونفسها، فكل ما يعمل على تفتيت الحياء والعفة وإضعافها في داخل المرأة فإنَّه يؤدي بصورة غير مباشرة لهدم الحجاب وإضعاف وجوده ومكانته في شخصية المرأة الظاهرية.

نستنتج من هذا الكلام أنَّ أهم منابع الحياء الداخلية للمرأة هو الحجاب والاحتشام، وإنَّ أي أمر يهدم الحياء وكيان الاحتشام داخل المرأة فهو يهدم الحجاب ذاته والأمثلة في هذا الإطار كثيرة، فقد يستغرب بعضنا إذا قلنا بأنَّ الغناء المحرم والكلمات البذيئة فيها تأثير سلبي على الحجاب! لماذا يا ترى؟ ذلك لأنَّ الغناء والكلمات اللهوية المحرمة تعمل عملها الهدام في تحطيم الحياء وروح الاحتشام الأنثوي داخل المرأة.

والمشكلة المعقدة هي أنَّ مثل هذا الهدم قد لا تشعر به المرأة بصورة واضحة في بداياته إلى أن يتنامى في روح المرأة ويتراكم ثم يتشكل في صورة

هدم كامل للأسس المعنوية والنفسية للحجاب والتي أهمها الحياء الإيماني والإيجابي، وهكذا نستطيع استيعاب الدور التخريبي للمناظر المحرمة في التلفاز أو القصص والمجلات التي تهتك الحياء والعفة، فكل هذه الأدوات التخريبية تساهم بصورة تدريجية في عملية تكسير الحواجز النفسية، وتعميق الاعتياد الداخلي، وترسيخ القبول والرضا الباطني بالأجواء المحرمة وهو يتبلور في صورة قضاء كامل على روح الحياء وكيانه، فالحياء والعفة والاحتشام يحتاج لعملية تربية ورعاية مبكرة تبدأ مع الطفل الصغير وتستمر معه للمراحل العمرية المختلفة، قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ لكلِّ دينٍ خُلُقًا، وخُلُق الإسلام الحياء**»[1].

(١) مشكاة الأنوار: ١/ ٩٧١، المسند الجامع: ٢/ ٢٨.

الحلقة الرابعة

ماذا يحقق الحجاب الداخلي والخارجي؟

يحرص بعض الباحثين على التفكيك بين الحجاب الداخلي والحجاب الخارجي والعفاف من خلال الفصل بين القيم وأسلوب تجسيدها في الواقع لينتهي ذلك إلى قولهم أنَّ الحجاب غير ضروري وأنَّه من الممكن حفظ العفة من دون حجاب!

لقد اعتدنا على سماع مثل هذا التنظير للحجاب الذي يحاول بعض المتغربين الترويج له باعتباره توليفة وسطية بين الانفلات الغربي والتشدد الإسلامي، فهم يقولون: «لماذا لا نكتفي بالحجاب الداخلي للمرأة فقط؟ أليس المهم هو البناء الداخلي للشخصية النسوية؟ أليس الواقع الداخلي لأي شخصية هو المجسِّد لشخصيتها الحقيقية؟ ألا نرى أنَّ هناك من النساء غير

محجبات إلا أنَّهن عفيفات؟!»، ونحن بدورنا نتوقف عند هذا التنظير، فنحن لا نبحث فقط حول مجرد الالتزام الفردي للمرأة، فنحن نبحث حول الثقافة التي يجب أن تدير عقل المجتمع، فهل إنَّ هذه الثقافة العلمانية اللادينية تعمل على حماية أسس الاحتشام والعفة في الأجواء الثقافية والروحية للمجتمع؟ والجـواب بكل تأكيد هو النفي؛ لأنَّ أدعياء مثل هذا التنظير هم أساساً الممثلون الحقيقيون للثقافة والحضارة الغربية في مجتمعاتنا، وهذه الثقافة تقوم في منطلقاتها وجذورها على عدم الاعتراف بأي مضمون يمت للعفة والحياء بصلة، فلا توجد ثقافة روحية تدعو للعفة والاحتشام الحقيقي سوى الثقافة الإسلامية، فالثقافة اللادينية لا تدعو للحجاب حتى على المستوى الداخلي أصلاً.

إذن، كيف نتصور نشوء ونمو الحجاب الداخلي بصورة منفصلة عن الحجاب الخارجي؟ وإذا حدث أن نشأ احتشام داخلي في هذه الأجواء فهو حالة نادرة وشاذة وناقصة في الوقت نفسه.

لو افترضنا أنَّ الاحتشام الداخلي محكوم عليه غالباً بالهزال والضعف والزوال، فهو احتشام ليس له ما يعمقه ويقويه، لاسيما لو تصورنا الأجواء الإفسادية التي تـروّج لها الثقافة العلمانية، وفي إطـار الافـتراض الصعب بالاستقامة السلوكية للمرأة السافرة ظاهراً والمحتشمة داخلياً، فماذا عن الأعين الشيطانية والإغراءات؟

إنَّ هذه الأعين لا ترى إلّا سفوراً وتبرجاً ظاهرياً، فإذا توفر الوعي

بالحجاب وبأسسه النفسية والمعنوية والتي محورها الحياء والعفة، فإنَّنا سوف نلاحظ تحقق أمور ومظاهر مختلفة وهي:-

١- سوف تتحول المرأة الطاهرة العفيفة إلى داعية للحجاب ومبلغة للعفة؛ لأنَّها تحتقر خلع الحجاب من أعماقها، وهي تكره التسيب الأخلاقي أينما وجد سواء شعرت به في شخصيتها أو في أخواتها أو أمها أو بناتها أو صديقاتها أو المجتمع.

٢- إنَّ المرأة المحتشمة تستشعر ضرورة الاحتشام حتى وهي مع النساء، فهي لا تبحث عن المبرر الاجتماعي لتنفس عن رغباتها الداخلية فتسمح لنفسها بارتداء الملابس غير المحتشمة في الحفلات والمناسبات باعتبار أنَّه لا توجد حرمة في ذلك، فالقضية تصبح حباً ذاتياً وداخلياً للوقار والاتزان والاحتشام في مختلف الظروف، وهكذا هو الأمر بالنسبة لظهورها مع المحارم كالأب والأخ والعم والخال.

٣- المرأة التي تحمل في داخلها حجاباً قوياً ومتكاملاً وراسخاً فإنَّها لا تحتاج لوجود الرقابة والرقيب من أجل التزامها بحجابها الظاهري فهي قادرة على المقاومة والصمود والحفاظ على استقامتها وعفتها حتى في حالة غياب الرقابة الاجتماعية وتوفر ظروف وعوامل الإثارة والإغراء.

٤- عندما تتكامل المرأة في حجابها الداخلي فإنَّها تشعر بكون حجابها جزءاً ذاتياً وأصيلاً من كينونتها الإنسانية والربانية، وهذا ما يجعلها ترى الأمور من حولها من خلال حجابها وعفتها، فهي يمكن أن تضحي بدراستها أو عملها أو

حتى زواجها إذا هدد أي منهم التزامها بعفتها وحشمتها؛ لأنَّ هذا التهديد هو في الحقيقة تهديد لوجودها في الصميم.

إذن، فالحجاب هو ضمان قانوني للعفة يصونها من الانزلاقات المحرمة، فهو ليس عفاف المرأة فقط ولا عفاف الرجل بل عفاف المجتمع كله من ألفه إلى يائه.

لذلك فالعفاف في رأي الإسلام هو حق اجتماعي عام لا يختص بالفرد فقط لتكون له الخيرة في إسقاطه والتهاون فيه إذا شاء، والحجاب يتبع العفة في كل ذلك.

الحلقة الخامسة

معنى العفاف

يوجد للعفاف معنيان: معنى لغوي ومعنى اصطلاحي، أما اللغوي فالعفاف بفتح العين من العفة، قال الراغب الأصفهاني في معناها: «العفة حصول حالة للنفس تمنع بها عن غلبة الشهوة»، وقال عنها الطريحي في مجمع البحرين: «كفَّ عن الشيء أي امتنع عنه فهو عفيف».

إذن، أساس العفاف هو الكف والامتناع من دون أن يتضمن المعنى اللغوي اختصاص المعنى بجنس معين كالمرأة مثلاً دون الرجل.

أما المعنى الاصطلاحي فهو أنَّ العفاف في منظومة الفكر الإسلامي مصطلح له حمولة معنوية خاصة منبثقة عن الآيات والروايات، ومن ثم هو تعبير عن حالة تترافق مع نسق خاص في القول والسلوك، فالمرأة العفيفة هي المرأة الخيِّرة التي تصون عرضها وشرفها، والعفة من أشرف الخصال ويتفرع

منها الصبر، وقد ورد ذكر العفاف في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**يَحْسَبُهُمُ الجاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ**﴾[1].

نلاحظ أنَّ العفاف في هذه الآية الكريمة ضرب من السلوك ينمُّ عن السمو والرفعة، وكف النفس، والامتناع عن مدِّ يد الحاجة إلى الآخرين عن عزة نفس، وذكر سبحانه وتعالى العفاف أيضاً في آية أخرى: ﴿**وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ**﴾[2]، فاستخدم الاستعفاف هنا بمعنى كبح جماح القوة الجنسية والسيطرة عليها، فهل العفاف هو حالة باطنية نفسية محضة ما يعني أنَّ ذلك لا علاقة له بالصيغة التي تظهر فيها هذه الحالة خارجياً أو لا صلة تربطه بالشكل الذي تكتسبه اجتماعياً؟

إنَّ القرآن لا يقر مثل هذه الرؤية بل هناك تركيز على الصيغة الأدائية والتعبيرية للحالة توحي إلى الأهمية التي يوليها لكيفية تجلي العفاف، ففي الآية الأولى عني المشهد القرآني بإبراز سلوك المسلم الفقير وبيان مدى حرصه في التصرف على نحو عفيف كريم لا يوحي بالعوز والحاجة، أما في الآية الثانية، فقد ذكرت كيف يسيطر الإنسان على الغريزة الجنسية وعدم الانزلاق إلى هوة الشهوات الجنسية استعفافاً، وفي ضوء ما سبق يتضح أنَّ للعفاف من منظور الفكر الإسلامي تعبيرين هما داخلي وخارجي، ففي التعبير الداخلي يعد العفاف حالة نفسية للسيطرة على الشهوة وضبطها، أما في التعبير الخارجي فهو علامات ودلالات تظهر في السلوك والقول لتشير إلى الحالة الداخلية التي

(١) البقرة: ٢٧٣.

(٢) النور: ٣٣.

ينطوي عليها الإنسان العفيف.

هذه الدلالة المزدوجة تعطي للعفاف معنى يشمل الكف والامتناع، ويبرز على مستوى المظاهر السلوكية والقولية لها ليؤيدها في الروايات الإسلامية، وقد ذكر أنَّ الإمام علياً عليه السلام قال: «**العفاف زهادة**»[1]، وأيضاً قوله عليه السلام: «**العفة تضعف الشهوة**»[2].

إذن، فإنَّ العفاف يرتبط بدلائل سلوكية، ويقترن بنمط خاص من الكلام، والالتزام به ينطلق من موقع العزة والاقتدار وليس من موقع الضعف والعجز، وإنَّه لا ينسجم مع حالة السلوك المضطرب ولا يتسق مع الدلالات المتناقضة، وتبرز مظاهر العفاف من خلال النسق السلوكي ونمط الحديث، فلا معنى لوجوده من دون وجود تلك الدلائل والعلامات، ومن ثم لا سبيل إلى حفظ العفاف من دون الالتزام بتلك الدلائل ورعاية تلك العلامات، فالعفة ليست أمراً داخلياً وباطنياً فقط بحيث لا تكون لها علامة تدل عليها من الخارج، وعند النظر إلى المفهوم من خلال أفق الحياة الإنسانية نلاحظ أنَّ جزءاً من الاختلاف في دلالات العفة بين المرأة والرجل يعود إلى التفاوت الموجود في الخلقة بين الإثنين، وإنَّ الحجاب هو إحدى علامات العفاف حيث لا يمكن تصور العفاف من دون حجاب.

إذن، فإنَّ الحجاب الإسلامي يعد إحدى الدلالات البارزة للعفاف، فعندما تخرج المرأة من البيت وهي محجبة ومتسربلة بالوقار تكون قد راعت

(١) ميزان الحكمة: ٣/ ٢٨٢، غرر الحكم ودرر الكلم: ١/ ١٧٠.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ١/ ١٧١.

جانب العفاف، فبذلك لا يتعرض لها الأفراد غير الملتزمين، فكلما التزمت المرأة برعاية جانب الستر والعفاف أكثر كان ذلك أرضى من منظور الإسلام الذي منح التشريعي رخصاً تسهيلية حيال حكم الوجه والكفين.

إذن فالحجاب هو دلالة لا محيص عنها على العفاف، فالعفة والحياء خصلتان لا ينال منهما التأريخ، فقد آمنت بهما الإنسانية جمعاء منذ البدء وحتى الآن، كما حرصت عليهما الأديان السماوية جميعاً ودعت الشخصيات البارزة للالتزام بهما على مرّ التأريخ، ومن جهتها حثت الشريعة الإسلامية على العفة والحياء وركزت عليهما كثيراً؛ لأنَّ هاتين الخصلتين الإنسانيتين تؤلفان بعداً من أبعاد فلسفة الستر الإنساني.

الحلقة السادسة

علاقة الستر بالعفاف

إنَّ للستر علاقة أساسية وثيقة بالعفاف إذ لا يجوز لإنسان أن يكون منحازاً للعفاف والحياء ويكون مخالفاً للحجاب في الوقت نفسه، فالحجاب الإسلامي هو الصيغة الأكمل في التعبير عن الالتزام بالعفاف، أما إذا أردنا أن نفصل بين الحجاب والعفاف، فسيفضي ذلك إلى بروز مشكلتين أساسيتين هما:-

المشكلة الأولى:- إلى أي مدى يمكن الإذعان إلى حالة الفصل بين العفاف والحجاب؟ ثم ما هو ملاك هذه القطيعة؟ وما هو المعيار الذي يقوم عليه؟ وفي حال تجريد العفاف عن الحجاب فما هي طبيعة الستر الذي ينبغي الالتزام به حفظاً لحالة العفاف؟ وما هو المدى الذي يمكن أن تبلغه حالة الانفصال هذه والتفكيك ما بين الاثنين؟

المشكلة الثانية:- هي إذا ما تم القبول بحالة القطيعة بين الإثنين والقول

بانفصال العفاف عن الحجاب بحيث لا يكون الحجاب شرطاً في العفاف، فعندئذ لا يبقى دليل لوجوب الحجاب على النساء، وإذا كانت النساء عفيفات من دون حجاب فهل الرجال كذلك؟

لقد نهض الشارع المقدس بعملية التشريع لضوابط ستر جسم المرأة من خلال مراعاة طبيعة الرجال وتكوينهم النفسي، كما حثَّ على التزام جانب العفاف انطلاقاً من رؤيته الشاملة إلى كينونة المرأة والرجل ونظرته السامية إليهما ليتحول الحجاب إلى أحد ثوابت أحكام الإسلام، بحيث لا يمكن تصور انفصال الحجاب عن العفاف، فإذا تكامل الحجاب أو كان فيه نقص سيؤثر ذلك على طهارة القلب؛ لأنَّ طهارة القلب تحتاج إلى أجواء وعوامل مساعدة، فحينما يقول أحدهم: «إنَّ قلبي نظيف» فإنَّه لا يمكن أن تكون نظافة القلب متعلقة بالفراغ، فكيف يكون القلب نظيفاً إذا كانت الأجواء المحيطة فاسدة؟ طبعاً نستثني من ذلك أولياء الله، ولننظر كيف نحتفظ بطهارة القلب والأجواء المحيطة بنا غير نظيفة! قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾[1].

إنَّ الآية الكريمة تشير إلى عامل من العوامل المهمة في نظافة القلب، وتطلب من الرجال إن أرادوا شيئاً من بيوت جيرانهم وفيها نساء أن يطلبوا ذلك الشيء بوجود حاجز حتى لا ينظروا إليهن، فالناس يحتاجون دائماً إلى أن يطلبوا شيئاً من بيوت جيرانهم.

(١) الأحزاب: ٥٣.

كما يقول تعالى: ﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾[1]، فلا يمكن للرجل أن يقول: «أنا إنسان نظيف وصالح ولا أحتاج إلى حاجز أو حجاب»، فحتى صحابة الرسولﷺ يجب عليهم أن يكلموا النساء من وراء حجاب، فبعض النساء وخصوصاً في زماننا هذا تكلم الرجل في العمل والسوق وحجابها ناقص ويفتقر إلى الصورة الحقيقية للحجاب الشرعي الإسلامي، فهذا النقص يسبب تلوث القلب؛ فالمرأة التي في يدها خاتم وتظهره للآخرين بحجة لفت الانتباه إليها فهي غير محجبة أيضاً، إذ ليس الحجاب هو فقط ارتداء الحجاب الشرعي كما ذكره الله عز وجل في كتابه الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾[2]، فإذا كانت المرأة مكتحلة فهو من الزينة وإذا لبست حجاباً ملوناً بألوان براقة وملفتة فهي غير محجبة وعلى هذا الأساس يجب أن يكون الحجاب كاملاً من جميع النواحي، وهنا يحق لنا أن نتساءل لماذا هذه الدقة والتركيز على الحجاب؟ والجواب على ذلك هو أنَّ الشيطان موجود بيننا، فإذا شاهد الرجل الأجنبي بالنسبة للمرأة الخاتم الذي ترتديه أو الملابس الملونة أو أي زينة ظاهرة أخرى يبدأ الشيطان بالوسوسة، فيقع الإنسان في الحرام، فعلى المرأة والرجل أن يكونا دقيقين في مثل هذه الأمور، فالمرأة إذا أرادت أن تتكلم يجب ألّا تتكلم برقة وتظهر جمال صوتها، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾[3]، فإذا تكلمت المرأة كلاماً زائداً عن الحد المطلوب فهو حرام من الناحية الشرعية، لذا يجب على المرأة ألّا تبدي نقطة ضعف حتى بهذا المقدار؛

(١) الأحزاب: ٥٣.

(٢) النور: ٣١.

(٣) الأحزاب: ٣٢.

لأنّ الطهارة تحتاج إلى جو نظيف، قال تعالى: ﴿**وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾[1]، فالحرام يبدأ خطوة فخطوة، فبدايته حجاب ملون براق بصورة ملفتة، وكحل في العين، وتتبعه خطوة أخرى ووسوسة حتى يقع الإنسان في الحرام والعياذ بالله لذا يجب على الإنسان أن يكون دقيقاً في ذلك، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**العفاف يصون النفس وينزّهها عن الدنايا**»[2].

(١) البقرة: ١٦٨.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ١٧١، ميزان الحكمة: ٣/ ٢٨٢.

الحلقة السابعة

ماذا يوفر الحجاب الخارجي للمراة؟

إنَّ الحجاب في اللغة: هو ما احتجبت به، وحجبه حجباً أي ستره وامرأة محجبة أي سترت بستر يحجب جمالها ولا يظهره أمام الرجل، وقد ذكر القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تحث على الحجاب وتشدد على الالتزام به من قبل النساء؛ حتى لا يقع المسلمون في مشاكل لا تحمد عقباها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[1]، ففي هذه الآية المباركة يأمر الله تعالى نبيه محمداًﷺ أن يأمر النساء المسلمات من زوجاته وبناته ونساء المؤمنين بالستر والحجاب الكامل ويمنعهنَّ عن التبرج والسفور، فالحجاب يكوّن للمرأة سمعة طيبة، فتعرف بالعفة والصلاح في المجتمع فلا تتعرض

(١) الأحزاب: ٥٩.

للمضايقات والنظرات الخائنة من قبل غير الملتزمين؛ وذلك لأنَّ الحجاب الصحيح والشرعي يحجز المرأة عن أطماع ذوي النفوس الضعيفة؛ لأنَّها مستورة الجمال والمحاسن، وإذا عرف هذا الشخص الضعيف أنَّ المرأة صالحة ومحافظة فلا يتعرض لها بسوء، وفي هذه الآية الكريمة أيضاً دلالة واضحة على وجوب الحجاب وأنَّه يحفظ المرأة عن كل ما يمكن أن تتعرّض له فيما لو كانت غير ملتزمة بالحجاب، وكان سبب نزول هذه الآية الكريمة أنَّ النساء كنَّ يخرجن إلى المسجد، ويصلين خلف رسول الله ﷺ، فإذا كان الليل وخرجن إلى صلاة المغرب والعشاء يتعرّض لهن الشباب فيؤذونهن، قالت أم سلمة رضي الله عنها: «لما نزلت هذه الآية: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾[1] خرجت النساء وكأنَّ على رؤوسهنَّ الغربان من السكينة، وعليهنَّ أكسية سود يلبسنها»[2].إنَّ الله سبحانه وتعالى عندما شرع الحجاب؛ ذلك لأنَّه أراد أن تمتاز المرأة المسلمة عن سائر النساء بالحجاب والعفة؛ لأنَّ النساء ولا سيما في هذا الزمان لا يلتزمن في كثير من الأحيان بهذا الحكم الشرعي، ولا يطبقن هذا القانون الحكيم الذي شرعه الله عز وجل للمحافظة على المرأة كما ذكرنا سابقاً، فالحجاب يوفر للمرأة العزة والكرامة والاحترام، وإنَّ أي امرأة مسلمة تترك الحجاب عن قصد أو بدونه فإنَّها تتخلى عن السمو والكرامة التي أرادها الإسلام لها.

ما هي فوائد الحجاب؟

إنَّ أول فائدة تجنيها المرأة الملتزمة بالحجاب هي الأجر والثواب؛ فإنَّ الله

(١) الأحزاب: ٥٩.

(٢) تفسير ابن كثير: ٦/ ٤٨٢، تفسير الآلوسي: ١٦/ ٢٢٣.

سبحانه وتعالى لا شك يؤجر المرأة المحجبة؛ لأنَّها أطاعت أوامره وسارعت إلى مرضاته، قال تعالى: ﴿**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[1]، وقد يظن بعضنا أنَّ جمال المرأة في التبرج، ولكن العكس هو الصحيح؛ لأنَّ المرأة المحجبة تكون جميلة بحجابها وهذا الجمال تكتسبه من احترام المجتمع لها، وحجاب المرأة المسلمة دليل احترامها للدين وتمسكها بالقرآن الذي أمرها بارتداء الحجاب، وقد ثبت أنَّ الحجاب هو سبب راحة المجتمع وسلامته من الفساد والجرائم، فالمرأة المحجبة تشكل صمام أمان للمجتمع، وأيضاً ثبت في علم النفس أنَّ الإنسان المرتبط بالله بشكل أو بآخر يحترمه الناس لهذا الارتباط، فالمرأة المحجبة تنال احترام الناس بشكل عفوي، وأكبر دليل على ذلك احترام جميع المجتمعات حتى غير الإسلامية لسيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام وللعقيلة زينب عليها السلام لارتباطهن بالله، والمدهش في شخصية الزهراء عليها السلام أنَّها كانت تجود بعطائها، وهي مجللة بأعظم خمار وحجاب بل حققت معنى الخدر الحقيقي الذي لا يعدو كونه ستراً بالقماش فقط، فقد حققته معنوياً ومادياً؛ فعندما هجم أعداء الإسلام على دارها لاذت عليها السلام بالباب حتى لا يُرى شخصها، رغم أنَّها كانت في أجلِّ حشمتها وحجابها، وبذلك الجهاد العظيم سقط جنينها إثر ضغط الأعداء «عليهم لعنة الله» على الباب الذي كانت خلفه، واخترق المسمار صدرها الشريف، لقد أعطتنا الزهراء عليها السلام درساً يعلّمنا الحشمة والعفاف، ويعلّمنا التمسك بالحجاب في أقسى الحالات وأرزاها، فلنتخذها قدوة لنا في المحافظة على الحجاب.

---

(١) آل عمران: ١٣٣.

الحلقة الثامنة

ما هو الحل لمشاكل المجتمع الأخلاقية؟

طرحت إحدى المفكرات الأجنبيات هذا الموضوع فقالت: «نحتاج إلى الحجاب لحلِّ الكثير من المشاكل التي نعاني منها، والتي أدت إلى وقوع الكثير في المفاسد الأخلاقية»، ومن هذا الطرح يتبين لنا كيف أنَّ الغرب يرى أنَّ الحل لمشاكله ومفاسده الأخلاقية هو الحجاب، فعدم احتجاب المرأة يعرِّضها إلى ما لا يحمد عقباه، فكان من الرحمة الإلهية أن جاء وجوب الحجاب للمرأة في الإسلام؛ لضمان سعادتها والحفاظ على عزتها وكرامتها؛ لأنَّ الإسلام ينظر إلى المرأة بأنَّها جوهرة ثمينة ومربية للأجيال المؤمنة، فما الحجاب إلا حاجز عن إثارة شهوات الإنسان، ونذكر مثالاً بسيطاً يؤكد صحة ذلك فإذا مر أحدهم وهو جائع بمائدة شهية تنبعث منها الروائح الطيبة، ووقع نظره عليها ولم يكن

ثمة حاجز بينه وبين الطعام أو المائدة ألا يأكل منها؟ ألا يشبع جوعه؟ لا نظن أنَّ أحداً يتردد في الجزم بتطاوله وإشباع نهمه من هذه المائدة! وإذا مرَّ وهو جائع لكنه لم يرَ هذه المائدة، ولم يشم رائحتها لم يكن الحافز الغريزي يدفعه بها وهو يراها بلا حاجب أو مانع بل يبحث عنها بالطرق المشروعة، فالحجاب الإسلامي هو بمثابة اللباس الحربي للمرأة المسلمة الذي يمنع التطاول عليها، وهو لباس الهيبة والوقار والتقوى والعفاف، فإذا بلغت الفتاة تسع سنين قمرية كلفت وأصبح الحجاب واجباً عليها، وأن تسعى إلى الحجاب التكاملي ألا وهو حجاب المظهر والجوهر، فيكون المظهر حاجباً للمفاسد، والجوهر أيضاً مانعاً وحاجباً لها.

وفي الحقيقة إنَّ الحجاب ليس قطعة قماش توضع على الرأس بل قلب نقي طاهر ونفس مطمئنة بالله وأخلاق حميدة، فلا يكون عذر بعض الفتيات بعدم التحجب أو الالتزام به؛ لأنَّها لا تمتلك تلك الصفات، بل هو واجب شرعي تلتزم به ثم تسعى للوصول إلى الحجاب التكاملي.

ما هي حدود اللباس الشرعي؟

إنَّ اللباس الشرعي يجب أن يكون بالمواصفات التالية:-

١- يجب أن يكون ساتراً لجميع البدن وفضفاضاً لا يجسِّم أعضاء الجسم، وأن يكون سميكاً غير شفاف.

٢- عدم إظهار أدوات الزينة كالحلي ومساحيق التجميل.

٣- ألّا يكون مزخرفاً وملوناً بألوان براقة ملفتة للنظر.

٤- عدم الخروج بعطر يقول الحديث الشريف عن الإمام الباقر عليه السلام: «... **ولا يجوز لها أن تتطيَّب إذا خرجت من بيتها**»[1]، فحجاب المرأة يعني عفتها النفسية، وطهارتها الشخصية المتأطرة بثياب شرعية تحجبها عن أعين الرجال، فترتدع النفوس المريضة خاسئة مدحورة، فالحجاب يعني صلاح المجتمع وحفظه من المفاسد الأخلاقية والاضطرابات النفسية، فيتحول إلى مجتمع متخلق بأخلاق العفة والطهارة، وتستقر أحاسيسه الغريزية وتستكين، فيتفرغ ذهنياً إلى الإبداع والابتكار والتطوير، ولكن نجد أنَّه من الصعب على نسائنا المسلمات أن يتركن الحجاب، ولكن هناك تغييرات عديدة دخلت فيه، حيث بدأت الدول الأجنبية الكافرة -وللأسف- تصدر لنا الحجاب «على الموضة كما يقولون»، فهي خدعة تحت شعار المحجبة الأنيقة المتطورة الساعية وراء الموضة! ولم يكتفوا بذلك بل أوهموا المرأة بأنَّها عند وضعها للزينة وهي ترتدي الحجاب يزيدها جمالاً؛ لذلك نجدها وقعت في فخ الازدواجية والتناقض والوهم، فغاية الحجاب هو حجب جمال المرأة عن عيون الرجال، أما الرغبة النفسية الداخلية للمرأة المتبرجة هي إبراز الجمال في شيء من الحجاب! وهذا تناقض في الفكر والسلوك، فنرجو منك أيتها المرأة المسلمة أن تثوبي إلى رشدك، وتتركي التبرج الملفوف بثياب الحشمة المصطنعة قبل أن ينتهي العمر.

(١) وسائل الشيعة: ٢٠/ ٢٢٠، الخصال: ٢/ ١١٥.

الحلقة التاسعة

الرد على الآراء

المعارضة لارتداء الحجاب

لا شك أنَّ المرأة هي نصف المجتمع ولها كرامتها واحترامها كإنسانة تعيش في هذه الحياة الدنيا، وبما أنَّ الإسلام دين الحياة فقد أولى المرأة اهتماماً كبيراً وشملها برعايته وعطفه وحنانه، فوضع الأحكام الحكيمة والقوانين العادلة لمختلف جوانب حياتها، وترك لها فرصة تمكنها من السمو إلى صفوف الملائكة والوصول إلى الدرجات العالية في الدنيا والآخرة؛ لذا نجد في القرآن الكريم سورة كاملة تحمل اسم «سورة النساء»، وهناك آيات كثيرة في سور أخرى تشير إلى المرأة وما يرتبط بها من أحكام وقوانين توفر لها الخير والرفاهية، وتضمن لها السعادة في الدنيا والآخرة، ويأتي قانون ارتداء الحجاب في طليعة القوانين الشرعية التي أقرها الإسلام وفرضها على المرأة لضمان سعادتها والحفاظ على

عزتها وكرامتها.

إنَّ هذا التأكيد والإصرار من الله تعالى يدل على أهمية الحجاب وضرورته في الحياة، والذي يلفت النظر ويستدعي الانتباه هو أنَّ قانون ارتداء الحجاب يتعرّض لكثير من حملات النقد والتشويه والاعتراض من قبل أعداء الإسلام ودعاة الفساد والضلال، وقد صار هدفاً وغرضاً لأقلامهم الرخيصة، فبدؤوا يشوهونه ويصفونه بالرجعية والتخلف ويزعمون أنَّ الحجاب شقاء للمرأة وإنقاص لشأنها إلى غير ذلك من الاتهامات والافتراءات، ونرى مع شديد الأسف بعض الحكومات والشخصيات تتخذ موقفاً سلبياً تجاه الحجاب، وبين فترة وأخرى نقرأ في الصحف أو نشاهد في التلفاز بأنَّ إحدى الحكومات الأجنبية المعاصرة أصدرت قراراً بمنع النساء المحجبات من مواصلة الدراسة في الثانوية أو الجامعة، وفرضت قانون ترك ارتداء الحجاب كشرط أساسي للموافقة على دراسة الطالبات! ومن حقنا أن نستغرب هذا القانون فيا ترى لماذا هذه الحرب المسعورة والشعواء ضد الحجاب؟

الجواب هو أنَّهم أدركوا حكمة هذا القانون وفلسفته المنطقية والفطرية والعقلية، وآثاره الحسنة، ورأوا أنَّ الحجاب يشكل سداً منيعاً أمام مخططاتهم ومؤامراتهم التي يحيكونها ضد المجتمع الإسلامي النزيه الطاهر، ومن هنا بدأت حربهم ضد هذا القانون الإسلامي بمختلف الوجوه عبر أجهزة التلفاز والصحف والمجلات وغيرها من وسائل الإعلام.

وما دام الأمر كذلك فإنَّ الجدير بالمرأة المسلمة أن تلتزم بالحجاب وتتمسك

به وأن تقوم بدور كبير في سبيل نشر هذا القانون بين الطالبات والفتيات وحتى كبيرات السن ودعوتهن إلى الالتزام الفعلي به، ويجب على المرأة بصورة خاصة والمجتمع بصورة عامة أن يفوتوا الفرصة على الأعداء وألّا يتركوا لهم المجال لتحقيق أهدافهم الشيطانية التي تضر بالإسلام والمسلمين.

ونحن بدورنا نبعث برسائل عاجلة لمن يهمه الأمر، وهذه الرسائل هي تحذير وإرشاد وتنبيه بأمر وأهمية الحجاب، وأول رسالة نبعثها هي رسالة إلى الأب الكريم فنقول له:-

«أيُّها الأب الفاضل، كن أباً واسمع ابنتك الصغيرة تناغيك بكلمة «أبي»، فهذه نعمة كبرى أنعمت بها يد القدرة الإلهية عليك، وأنَّك ترى ابنتك وهي تكبر وتنمو أمام ناظريك، فهذه نعمة أخرى تستشعرها من كل أعماقك، ولكن هذه النعم الإلهية العظيمة لها مسؤولية كبيرة وخطيرة.

ومن أجل أن تقوم بمسؤوليتك هذه وهي دور التربية والتوجيه على أتم وجه، فلا بد لك أن تحمل الكثير من الرشد والوعي والنضج والحكمة وأن تلتفت إلى علاقتك بابنتك وتفهم جيداً متى يجب عليك أن تكون متساهلاً ليناً، ومتى عليك التشدد، فبإمكانك التساهل والتسامح مع الأخطاء البسيطة التي لا ترتبط بصميم وجوهر وعفاف ابنتك كأن تقصر في تعلم الطبخ والتنظيف مثلاً، ولكن لا يليق بك أن تتهاون أو تتكاسل لأي أمر يرتبط باستقامة وحشمة وحجاب ابنتك، فبعض الآباء يتصورون أنَّ من علامة التحضر والعصرية هو أن يفتح المجال كاملاً لابنته للخروج مع من تشاء ولبس ما تشاء، فالمهم لديه

هو أن تغطي شعرها فقط، أيها الأب الفاضل لا تكتفِ فقط بأن تضع ابنتك الحجاب على رأسها؛ لأنَّ المفهوم الحقيقي للحجاب ليس كذلك.

كما يجب أن تعمل جاهداً ومنذ الطفولة المبكرة لابنتك على أن تتربّى وتتنفس أريج الحياء والعفة والاحتشام في أعماق روحها وأن تعي الحجاب بعقلها وفكرها ثم حاول توعيتها على السلوك الاجتماعي المتناسب مع حجابها وحاول أن تنوع من أساليبك وركز على غرس حب الإسلام في نفس ابنتك وذلك من خلال توفير الكتب الإسلامية وتشجيعها على حضور المنتديات الإسلامية التربوية.

وبما أنَّ مفردات التربية مترابطة فأنت لا تستطيع أن تسمح لابنتك باستماع الأغاني أو مشاهدة ما تشاء ثم تفرض عليها الالتزام الكامل والدقيق بتفاصيل الحجاب لهذا عليك أيها الأب الكريم أن تكون مستوعباً في إرشادك وتربيتك لكل مفردات وجوانب التربية».

الحلقة العاشرة

رسالة إلى كلِّ أم

مما لا شك فيه أنَّك أيتها الأم الفاضلة يقع على عاتقك مسؤولية كبيرة في توجيه وإرشاد ابنتك التي هي أمانة في يديك، ورسالتنا الموجهة إليك هي:-

«أيتها الأم الكريمة... كما تعلمين أنَّ من مقومات التربية الأساسية وقبل كل شيء الاستقامة والحشمة والعفة، فأنت تمثلين القدوة الأهم والأقرب لابنتك، وكلما زاد اهتمامك بحجابك وسترك فإنَّك تعكسين هذا الاهتمام على ابنتك، وكلما تهاونتِ -أيتها الأم- في هذا الأمر فإنَّ البنت تتهاون به أيضاً، لكي ترسخي في ذهن ابنتك أهمية الحجاب يجب عليك بين الحين والآخر أن تتحدثي أمامها عن حجاب النساء العظيمات واللاتي يذكرهن التأريخ بأنَّهن قدوة لجميع النساء وعلى مر العصور.

إنَّ التأريخ يتحدث عن طهر السيدة خديجة الكبرى عليها السلام وعن حجابها

الذي ما أعاقها عن أداء رسالتها في الحياة، وإن بحثنا أكثر لوجدنا أنَّ ما من امرأة ذاع صيتها في مجال البطولة إلا وكانت مجللة بالحجاب والحشمة مثل السيدة آسيا بنت مزاحم، وسارة زوجة نبي الله ابراهيم، ومريم العذراء «صلوات الله وسلامه عليهن» وغيرهن الكثير من النساء.

وبالطبع لن نغفل عن شمس ما حجب نورها حجاب، بل زادها تألقاً في سماء كل امرأة تنشد الكمال، إنَّها مولاتنا السيدة زينب عليها السلام، هذه السيدة التي حيرت كثيراً من المؤرخين والدارسين للتأريخ الإسلامي سواء من المسلمين أم من غيرهم، فالسيدة زينب عليها السلام هي المرأة التي قامت بأعظم دور إعلامي أماطت فيه اللثام عن قضية الإمام الحسين عليه السلام وكشفت مفاسد بني أمية وألَّبت الجماهير المسلمة ضدهم.

لقد ذكر أحد المستشرقين في كتابه هذه المقولة عن الحوراء زينب عليها السلام فقال: «إنَّني أعجب من امرأة ما كان يرى لها ظل أن تقوم بدور يعجز عنه الرجال، وتتحدث بخطبة تهز بها عرش يزيد، وأكثر ما أستغرب منه هو قولها له: «**وما أيامك إلّا عدد**»[1]، فلم تمض بالفعل سوى أيام حتى مات يزيد فأي علم كانت تملك؟!

بالفعل إنَّ السيدة زينب عليها السلام قامت برسالتها وهي مخدرة بالحجاب ولم يكن يرى لها ظل ولا يسمع لها صوت قبل فاجعة الطف الأليمة، فكانت عليها السلام كلما أرادت الخروج لزيارة قبر جدها صلى الله عليه وآله وأمها البتول عليها السلام كان والدها أمير

(١) اللهوف: ١/ ٦٩، الصديقة زينب عليها السلام: ١/ ٢٩.

المؤمنين عليه السلام يخرجها في الليل ويطفىء السراج والأنوار من حولها، ويكون هو أمامها والحسنان عليهما السلام بجانبها، كل ذلك لكي لا يرى أحد شخصها الكريم، فأنت أيتها الأم عندما تذكرين لابنتك هذه النجوم المتألقة في سماء العفاف والحشمة وتشجعيها على الاقتداء بهن، فمما لا شك فيه أنَّ ابنتك ستحاول التقرب والتعرف أكثر على شخصية السيدة الزهراء عليها السلام ومولاتنا العقيلة زينب عليها السلام وباقي النساء العفيفات، وبالتالي ستجعلهن قدوة في حياتها، وتشجع زميلاتها على مطالعة سيرة حياة هؤلاء النسوة العظيمات، وبالتالي ستصبح ابنتك واعية لضرورة الحجاب وأهميته.

كما يجب عليك -أيتها الأم العزيزة- أن تتعرّفي على صديقات ابنتك، فأنت الأعلم بمن تؤثر سلباً أو إيجاباً على ابنتك، وأنت القادرة على كشف الانحرافات والتصرفات غير اللائقة التي تتعلمها ابنتك سواء من زميلاتها أو المجتمع، فمسؤوليتك كبيرة وعظيمة أيتها الأم، فأنت باهتمامك ومتابعتك المستمرة ستنشئين جيلاً يفتخر به في كل زمان ومكان، فكل تصرف صادر منك سيتوجه لابنتك وستنقله ابنتك بدورها إلى صديقاتها أو أطفالها في المستقبل.

وبما أنَّ الهدف الحقيقي لكل هذه الجهود هو استقامة والتزام الأبناء بالإسلام والعقيدة، فعلينا أن نستشعر بالضرورة القصوى لأن تمتلئ نفوسنا بعظمة وشموخ وعشق السيدة الزهراء عليها السلام والسيدة زينب عليها السلام بحيث لا يبقى في نفوسنا ونفوس بناتنا أي فراغ فكري أو عملي من خلال تعميق الارتباط بالزهراء عليها السلام.

الحلقة الحادية عشرة

المرأة في ظل الإسلام

منذ بزوغ نور الإسلام بدأت المرأة المسلمة تنفض عنها تراب الذل والاستعباد وتودّع أيام الأسر والوأد لتعيش الحياة التي يصونها وحي الله عزَّ وجل وتساهم في بناء المجتمع.

وهكذا أصبحت الإنسانية أمام تجربة جديدة مشرقة بنور النبوة الهادي، فتنجب هذه التجربة طليعة أمهات المؤمنين السيدة خديجة عليها السلام والتي وقفت بجانب الرسول صلى الله عليه وآله في أداء رسالته فبذلت ثروتها لتغطية نفقات الدعوة الإلهية وهي في أشد أيام صراعها مع الجاهلية، وقد تحملت هذه السيدة الجليلة الكثير من المعاناة وقدمت لنا نموذجاً رائعاً للمرأة في مساعدة الزوجة لزوجها.

وقد سجّلت الزهراء عليها السلام أروع الأمثلة وأجلّها في صنع المجد الإنساني في ضوء مهام الرسالة الإلهية يوم وقفت مدافعة بوجه محاولات التحريف بعد

النبيﷺ ولا تزال خطبها وأحاديثها ومواقفها بهذا الخصوص غرة على جبين الزمان.

أما السيدة زينبعليها السلام فكانت لها أشرف المواقف وأعظمها يوم أدت رسالة أبي عبد الله الحسينعليه السلام فقد تحملت مهمة شرح وتبيان أهداف الثورة الحسينية العظيمة في كل محفل وموقف وكشفت القناع عن وجوه الظالمين إضافة إلى دورها في حماية أسرى آل محمدﷺ من الضياع في خضم تلك المأساة الدامية.

إنَّ التأريخ ليقف خجلاً أمام هذه النماذج الرائعة من النساء والتي يدين لهن الإسلام بكثير من الفضل بما بذلنه من صمود وصبر وعطاء على طريق الحق ومقارعة الظالمين، وهن ربيبات الخدر والحجاب والعفة والطهارة ويشكلن منارات هدى لكل المؤمنات عبر التأريخ، ويعطين تصوراً لما يمكن أن تحققه المرأة المسلمة المنضبطة بمبادئ الإسلام وأحكامه من دور عظيم في حياة المجتمع خلافاً لما يثيره الجهلاء من تصورات بائسة حول الإسلام الحنيف وقدراته الفذة في تحطيم الأغلال التي تحول بين المرأة المسلمة وأداء مسؤوليتها الشرعية العظيمة في إطار النهضة الإسلامية الكبرى.

من هي المرأة المثالية في الإسلام؟

المرأة المثالية في الإسلام دون أدنى شك هي مولاتنا السيدة فاطمة الزهراءعليها السلام حيث تعد القدوة الصالحة لكل امرأة تبحث عن السعادة في الحياة، فهي سيدة نساء العالمين وربيبة الوحي والتنزيل وخريجة مدرسة النبوة

والرسالة، وهي التي بلغت القمة الشاهقة في العظمة والمنزلة حتى قال عنها أبوها رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله يرضى لرضى فاطمة ويغضب لغضبها**»(١).

ومن هنا فإنَّ على كل امرأة في العالم أن تتخذ من هذه السيدة العظيمة قدوة لها في الحياة، وتستنير بنورها الزاهر وتسير على هديها في طريق السعادة والفلاح.

إنَّ السيدة فاطمة عليها السلام مثال كل فضيلة وأنموذج كل خير، سعدت كل امرأة اقتدت بها وشقيت كل امرأة تركت الاقتداء بها واقتدت بغيرها، كانت هذه السيدة العظيمة قمة في الحجاب والعفة لا تخرج من بيتها إلا والعباءة تستر جميع جسدها من الرأس إلى القدم فلا يظهر منها أي شيء.

وقد ذكر لنا التأريخ مواقف للسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام تدل على العفة والطهارة والحجاب ومن هذه المواقف ما ذكر أنَّ السيدة فاطمة عليها السلام كانت جالسة عند أبيها رسول الله ﷺ إذ استأذن عليه ابن أم مكتوم -وكان رجلاً أعمى- وقبل أن يدخل على النبي ﷺ قامت السيدة الزهراء عليها السلام لتدخل على أبيها مرة أخرى، وهنا سألها نبينا الكريم ﷺ عن سبب خروجها مع العلم أنَّ ابن مكتوم لا يبصر شيئاً سألها النبي ﷺ عن السبب وهو يعلم ذلك لكي تجيب بدورها على هذا السؤال.

ويكتب التأريخ هذا الحوار الإيماني ليبقى مثالاً رائعاً طوال الحياة، فقالت عليها السلام: «**إن لم يكن يراني فإنِّي أراه، وهو يشم الريح**»(٢)، بمعنى يشم

(١) مستدرك سفينة البحار: ١/ ١٥٢، بحار الأنوار: ٢٧/ ٦٢.
(٢) بحار الأنوار: ٤٣/ ٩١.

رائحة المرأة، فأعجب النبي الأعظم بهذا الجواب الذي يتفجر عفة وشرفاً من ابنته الحكيمة التي اعتبرت أنَّ مجرد شم الرائحة من المرأة يعد خرقاً للحجاب، فهنيئاً لنا نحن كنساء أن كانت قدوتنا مثل هذه السيدة الجليلة.

هذا نموذج من حياة سيدة نساء العالمين عليها السلام والمرأة المثالية في الإسلام والقدوة الصالحة، ويجدر بك أن تستلهمي منها دروس الكرامة والحياء وتجعلي من نفسك المرأة الصالحة الملتزمة بالإسلام وأحكام القرآن.

الحلقة الثانية عشرة

رسالة عاجلة إلى المرأة

أيَّتها المرأة... إنَّ أول ما نوصيك به هو الحفاظ على حجابك وعفافك، ولتحذري على سمعتك وشرفك وبيتك وأسرتـك، وكوني على يقين أنَّك إذا تخليتِ عن العفاف لحظة واحدة -والعياذ بالله- لن تنالي خيراً في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا يكفيك أن يشار إليك بأنَّك غير ملتزمة، أما في الآخرة فسيكون مصيرك النار.

لذا نحذّرك من هذه النار فهي أعظم بكثير مما تتصورين وكيف لا تكون كذلك وقد خلقها القادر الجبار من غضبه وانتقامه من الذين تركوا تعاليمه.

يجب عليك أن تستوعبي بعمق مضمون الحجاب في مستوياته المختلفة ابتداءً من الحياء والحشمة ثم الوعي الكامل بالحجاب الداخلي والخارجي، ثم دققي في حجابك وما يلحقه وانظري هل يطابق مواصفات الحجاب التي

سنَّها الإسلام للمرأة؟

وإذا أردتِ لحجابك الرسوخ والعمق، فتجنبي ترديد واستماع الغناء ورؤية البرامج الداعية للانحراف وحاولي دائماً إشعار نفسك بأنَّ لا قيمة لها من دون حجاب وأنَّك غير مستعدة للتخلي عن حجابك أو حتى التساهل فيه تحت أي ظرف أو ضغط وعدي أنَّ كل شؤونك واهتماماتك وأمورك تدور في فلك حجابك وحشمتك وعفافك وهو المحور لكل أبعاد حياتك.

أختي الكريمة، كوني كما أرادك الخالق العظيم تلك المرأة التي لا ترى لنفسها مضموناً ومعنى إلا من خلال حجابها وعفافها وحشمتها الدقيقة والكاملة، لذا فاعرفي قدرك أيتها المرأة، فأنت ثروة هذه الأرض ولك مكانة عظمى عند الله سبحانه وتعالى الذي خلقك بإرادة خاصة به، وجعلك أنثى لتستمر بك الحياة، وتشع منك أنوار العاطفة.

اعرفي من أنتِ لتؤدي دورك كاملاً غير منقوص، ولا تقبلي بدور هامشي في الحياة؛ لأنَّك لستِ جزءاً صغيراً كما يقول بعضهم وإنَّما أنت لب الحياة ومن دون أن يكون لك دور فاعل في هذه الحياة، فلن يكون هنالك دور للآخرين أيضاً.

أختي الكريمة، انظري للأمور بعينين عين العقل، وعين الذوق، فبالعقل تعرفين الحقائق وبالذوق تكتشفين جمالها، وإياك والانخداع بالمظاهر الجذابة وحدها؛ لأنَّ ذلك قد يرضي عين الذوق ولكنه لا يرضي عين العقل، فلرُبَّ ملمس جميل يخفي سماً زعافاً.

واعلمي أنَّ المرأة التي لا تهتم إلا بالجماليات تكون إحدى عيني الروح فيها مصابة بالعمى، فانطلقي في تقييمك للأشياء من منطلق الخير والشر والصلاح والفساد والعدل والظلم وليس من منطلق المصلحة أو الربح والخسارة أو اللذة والألم، كما قال تعالى: ﴿**وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾[1].

لذا فاقرئي كثيراً، وفكّري أكثر، فالعلم بحر لا نهاية له، والفكر زورق في هذا البحر، والكتاب هو المجداف ومن لا يفكر ولا يستخدم الكتاب، فلربما يبقى دائماً على الساحل ولا يستطيع أن يعبر المحيط.

واعلمي أنَّ كثير العلم قليل فكيف بقليله! فلتكن لك مطالعات يومية بحيث يصبح الكتاب رفيقاً دائماً لك ولتكن مطالعاتك فيما تحتاجين إليه كالقضايا التي ترتبط بالتربية والسلامة والدين والعلاقات الاجتماعية وغيرها من مجالات الحياة، كوني ابنة الآخرة لا إبنة الدنيا، واعملي للباقيات الصالحات.

اهتمي كثيراً بتزكية النفس، فإنَّ ذلك من أولى الواجبات وابتعدي عن كل عمل يبعدك عن الله، وقومي بعمل كل ما يقربك إلى الباري عزَّ وجل فإنَّ الدنيا مهما كانت فهي تغر وتضر، فلا خيرها يدوم ولا شرها يبقى.

ونصيحتنا الأخيرة هي أن لا تكوني -والعياذ بالله- من أصناف النساء التي ذكرها الرسول محمدﷺ حين أسري به إلى السماء، حيث قال الإمام عليعليه السلام: «**دخلت أنا وفاطمة**عليها السلام **على رسول الله**ﷺ **فوجدناه يبكي بكاءً**

(١) البقرة: ٢١٦.

شديداً فقلت: فداك أبي وأمي ما الذي أبكاك؟

فقال ﷺ: ليلة أسري بي إلى السماء رأيت نساء أمتي في عذاب شديد، فأنكرت شأنهنَّ وبكيت لما رأيت من شدة عذابهنَّ، ثم بدأ ﷺ يحدّث عن مشاهداته ليلة المعراج، ومنها ما قال: رأيت امرأة معلقة بشعرها يغلي دماغ رأسها، ورأيت امرأة تأكل لحم جسدها النار، والنار توقد من تحتها... أما المعلَّقة بشعرها فإنَّها كانت لا تغطي شعرها من الرجال، وأما التي تأكل لحم جسدها فإنَّها كانت تزيِّن بدنها للناس...»[1].

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/ ١١.